



سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيَلَّا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا^١
Exalted is He who took His Servant [i.e., Prophet Muḥammad (ﷺ)] by night from
al-Masjid al-Ḥarām to al-Masjid al-Aqṣā,

تأملات في سورة الإسراء

المحاضرات

محاضرة في الأردن

2024-02-05

عمان

الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:
اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا رب العالمين، اللهم أخرجنَا من طلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جنات القربات، وبعد:

متى كان الإسراء والمعراج؟

أيها الكرام؛ فإن المسلمين في شهر رجب يستذكرون ذكرى الإسراء والمعراج، والحقيقة أنه لا يوجد إثبات مؤكد لتاريخ الإسراء والمعراج، لكن كثيرًا من المحققين ذهبوا إلى أنه كان في 27 من رجب، وقد اتفقا على أنه كان قبل الهجرة وبعدبعثة، وأنه كان عقب ما سمي فيما بعد بعام الحزن، عام الحزن عام أطلقه كتاب السيرة على عام فقد فيه النبي -صلى الله عليه وسلم- سنته الداخلي الأولى خديجة -رضوان ربها عليها-. وقد سنته الخارجي عمه أبو طالب الذي كان يدود عنه ويدافع عنه ويحميه من أدى قريش، فذهب إلى الطائف يتلمس من أهلها النصرة، فما كان من أهل الطائف إلا أن أذوه ورموه بالحجارة، وأغروا به سفهاءهم وصبيانهم حتى أوى إلى حائط؛ إلى سtanan ودعا بالدعاء المعروف الذي ختمه بقوله: "إن لم يكن بك غضب على فلا أبيالي، ولك العتى حتى ترضى"، بعد ذلك كان الإسراء والمعراج بغض النظر عن تاريخ الليلة 27 من رجب أو غيرها، فقال المولى -جل جلاله- في سورة الإسراء:

سُبْحَنَ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيَلَّا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا^١
(1)

(سورة الإسراء)

الربط بين أواخر سورة النحل وبداية سورة الإسراء:

وأريد أن أرجع قليلاً إلى نهاية سورة النحل، قبل الإسراء عندنا سورة النحل، ومعلوم عندكم أن هناك علمًا في القرآن اسمه (علم المناسبات) بحيث نربط أول السورة بأخرها، فإذا نظرنا في نهاية سورة النحل وجدنا قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَهُنَّ بَرِزْنَا مَمْكُرُونَ (127)

(سورة النحل)

هذا عام الحزن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْذِينَ إِنْقَادُوا وَلَا إِنَّمَا مُحْسِنُونَ (128)

(سورة النحل)

كيف كان الله معه بعد ذلك؟ (**سُبْحَانَ اللَّهِ أَسْرَى بِعِنْدِهِ لَيْلًا مِّنْ الْمَسْجِدِ الْأَفْصَادِ**) دائمًا بعد المحن هناك منح ريانة، وبعد الشدائدين هناك شدائد إلى الله تعالى هذه سنة الله في الأرض، لذلك ختم سورة النحل بالأمر بالصبر لأن الوعد قائم، وابتداً سورة الإسراء بالتكافأ التي نالها النبي -صلى الله عليه وسلم- إذ استجاب إلى ربه فصبر ولم يصدق صدره بمكرهم، فجاءت رحلة الإسراء تسلية لقلبه -صلى الله عليه وسلم-، وإيداعاً من الله تعالى بأن الله معك وبأنه ناصرك ومؤيدك تشجيعاً له، تسلية له، معاونة له، لذلك ختمت الآية بقوله تعالى: **(إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)** مع أن ما يُتوهم في ذكرنا أن يكون خاتماً ولو لم نكن نعرفها (إن الله على كل شيء قادر) فهي تتحدث عن معجزة **(سُبْحَانَ اللَّهِ أَسْرَى بِعِنْدِهِ)** فهي معجزة، لماذا الخاتمة **(إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)**؟ لقد سمعنا قولك ودعائك في الطائف، وأيصرنا حالك وما فعلوه بك فأربناك هذه الآيات الكبرى وأسرينا بك هذا الإسراء العظيم وعرجنا ذلك المعراج المقدس **(إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)**، فالله تعالى يسمع دعاءنا الآن عندما ندعو ونتالم لما يحل بإخواننا، ويتصير حالنا ويسصر هوانتنا على الناس، ورحلتنا إلى بيت المقدس وعد من الله وعروجنا إلى السماء بالصلة بالله، فالصلوة معراج المؤمن أيضًا أمر واقع، فتحن لئن كان زمن المعجزات قد ولّ لكن الروح تسرى إلى مكة المكرمة، وتسرى إلى المدينة المنورة، وتسرى إلى بيت المقدس، وتعرج إلى ربنا من خلال الصلاة: **الصلوة معراج المؤمن**، لذلك فُرضت الصلاة في المعراج لأنها معراج المؤمن إلى رب الأرض والسموات، فقال: **(إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)**.

معنى التسبيح و لماذا بدأت سورة الإسراء بالتسبيح؟

أحبابنا الكرام (**سُبْحَانَ**) التسبيح والتربية: أن أنتره الله عن أن يشبه شيئاً من مخلوقاته في ذاته أو في صفاته أو في أفعاله.

فَاطِرُ الْسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَرْوَاحًا وَمِنْ الْأَنْعُمِ أَرْوَاحًا يَدْرُوْكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَوْنِيْلَهُ شَئْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11)

(سورة الشورى)

هذا هو التسبيح، الله تعالى حاشاه أن يكون مثل مخلوقاته في ذاته ولا في صفاته، فأنت تسمع وهو يسمع لكن أين سمعه من سمعك؟! سبحان من وسع سمعه الأصوات! ونحن لا ندرك ذاته فمن ياب أولى أننا لا نستطيع أن ندرك كيف صفاته فنفرض الأمر إليه، فنقول: إنه يسمع ويبصر، لكن كيف يسمع ويبصر؟ لا ندرك لأننا لا ندرك الذات أصلًا، فكيف ندرك الصفات؟! تماماً كأن أقول لك مثلاً إذا قلت لك: يد الطفل، مباشرة بتدار إلى ذهنك تلك اليد الجارحة التي فيها خمسة أصابع، كلنا تبادر إلى ذهنياً اليد، إذا قلت لك الآن: يد الإبريق، ما يتadar إلى ذهنك تلك الحقيقة التي توضع على الإبريق ليحمل بها، لماذا أدرك الآن صفة اليد؟ لأنني أعرف الذات، لكن لو قلت لك الآن: يد الباب، تدرك أنها قبضة الباب، لو قلت لك: يد الحائط، يد الحائط؟! ما عندك تصور متى كان لحائط يد، فالله تعالى له صفات صفاته عليه -جل جلاله- ننجزه أن يشبه فيها أحدًا من خلقه، ولو أفعال وحاشاه -جل جلاله- أن يشبه أحدًا في أفعاله، فتحن نرحم هذا فعل، فنجن على أنتنا ونضممه إلى صدرنا هذه رحمنا، لكن كيف رحمة الله؟ أعظم مما تتصور، وأكبر مما تخيل، فسيحان أي نحن ننجز الله، نسجنه، ننجزه عن كل شخص أو عن كل شبه بمخلوقاته في ذاته وصفاته وأفعاله، لكن متى نقول أكثر نحن سبحان الله؟ إذا رأينا وردة جميلة خلق من خلق الله مبدع، نقول: سبحان الله! نظرنا في البحر في تصوير علمي فرأينا الأنواع من الأسماك نقول: سبحان الله! أو رأينا فعلًا من أفعاله عجيبًا -جل جلاله- كان أهلك عدواً باطلاً، كان أهلك مراياً كان يُقال فيسمع لقوله فإذا به في فراشه لا يقوى على الحراك، نقول: سبحان الله! فتحن نسبح الله عند رؤبة أمر عجيب، لذلك جاء مطلع الآية بالتسبيح لأن ما بعدها أمر عجيب أن يذهب النبي -صلى الله عليه وسلم- من مكة إلى بيت المقدس في ليلة واحدة وبُوَرَجَ به إلى السماء بل في جزء من ليلة، تعطل الزمان أمر عجيب، عجيب عندنا في قوانيننا لكنه عند الله كن فيكون، فهو خالق الزمان المكان (**سُبْحَانَ اللَّهِ أَسْرَى بِعِنْدِهِ**).

هل كان الإسراء بالروح أم بالجسد أم بكليهما؟

وقال: (يَعْبُدُو) لنفي شيء وهو أن يقول قائل -كما يحلو للبعض- إن الإسراء كان رحلة منامية، أين المعجزة في كونها مناماً؟ أنا اليوم فاري نفسي في بيت المقدس، فهل أقول أنها وقعت معجزة؟ أين الإعجاز؟ فقال: (يَعْبُدُو) أي بنفسه وبروحه وبجسده -صلى الله عليه وسلم- به أسرى وليس رؤية منامية كما يحلو للبعض أن يفسرها من أصحاب المدرسة العقلانية التي لا تتمت إلى العقل بصلة؛ لأن العقل لا ينكر وقوع الإسراء، ولو وقع اليوم في عصرنا أن قال أحدهم: ذهبت إلى فلسطين وعدت في ليلة واحدة، لما قال أحد منها إنها معجزة لأن الطروف تغيرت، فالعقل لا يحيل وقوع ذلك، ولكن العادة كانت تحيط به ذلك الزمن لعدم توفر المعلومات العلمية التي تجعل الإنسان يتنقل رحلة طويلة في وقت قصير، وقد يأتي زمان على الناس والله تعالى أعلم، والله يخلق ما شاء-فتتصح الرحالة في 10 دقائق من مكة إلى بيت المقدس، اليوم ساعتان يمكن تصريح 10 دقائق، ما يوجد شيء يمنع عقلاً أن يحدث ذلك فقال: (يَعْبُدُو) عظم جانب العبودية، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- لو شئت أن تقول لها معجزة لكن في ذهنتها أن يُقال: ربنا، برسوله، لكنه قال: (يَعْبُدُو) لأن أعظم مقام يبلغه الإنسان هو مقام العبودية، وأن النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد هذه الرحلة العظيمة ما ترك عبوديته لله حشاها -صلى الله عليه وسلم-، عاد ليجالس الفقراء، عاد ليقول: أين جليس؟ هذا الفقير الدميم المصورة، عاد ليقول لما دفعنا أمراً في الليل تَقْمُّ المسجد ولم يعلمه، يغضب ويقول: أفلا آذتنا منون؟ فقام فوقف على قبرها فصلي عليها، وعاد لتأخذ الجارية بيده فتقوده إلى حيث شاءت، ما تخل عن أنه عبد لله، اليوم ربما انتقض منا وبين نعراتنا بينما يبين ماجدهم ويتغافل عن سينائهم وهي زيارة إلى غرب الأرض، لكن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم ينتقل إلى غرب الأرض وإنما انتقل إلى السماء السابعة ثم عاد ليجالس المساكين والفقرا لأنه يدرك معنى العبودية، بل إنه -صلى الله عليه وسلم- أعظم من عبد الله، فقال: (سَيِّخَنَ الَّذِي أَسْرَى يَعْبُدُو)، وقال: (لَيْلًا) مع أن كلمة أسرى تفيد الليل لأن السري هو المتنبي ليلاً، لكن قال: (لَيْلًا) للتأكيد.

أهمية المسجد الأقصى و الرابط بينه وبين إفسادبني إسرائيل :

(مَنْ الْقَسْجِدُ الْخَرَامَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا) وهذه إشارة إلى أن بوابة السماء في هذا المسجد العظيم وأن أمانة في رقب المسلمين وأن عليهم أن يحموه وأن يناصروه، (الَّذِي تَرَكْنَا حَوْلَهُ)، ونحن في هذا البلد الطيب برకتنا لأننا حول المسجد الأقصى، والشام مباركة لأنها حول بيت الله المسجد الأقصى (النُّرْتَهُ مِنْ ءَاهِنَّا إِنَّهُ هُوَ التَّشَيْعُ التَّصْبِيْعُ)، ثم يقول المولى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَءَاهِنَّا مُوسَى لِكِتَابٍ وَحَقَّلَهُ هَذِي لَتَبَتِ إِسْرَاعِيلَ لَا تَتَجَدُّوْ مِنْ دُونِي وَكِيلًا (2)

(سورة الإسراء)

هنا أيها الأخباب فوراً هناك ربط، قضية المسجد الأقصى لها علاقة مباشرة بإفسادبني إسرائيل، فجاء الحديث عنبني إسرائيل عقب معجزة الإسراء في إشارة إلى أن المسلمين مأمورون بحماية المسجد الأقصى وأن هؤلاء سيفسدون فيه، إلى أن قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَصَّيْنَا إِلَى بَيْتِ إِسْرَاعِيلَ فِي لِكِتَابٍ لَتَفْسِيْدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّيْنَ وَلَتَعْلَمَنَّ عُلُوًّا كَيْرًا (4)

(سورة الإسراء)

القضاء هو حكم، والقاضي يحتاج إلى بُنَانٍ وشهادـ إسرائيل هو يعقوب -عليه السلام- ومعناه في العربية عبد الله، يغضـ النظر عن تسمـتهم به دولـهم المزعـومة عدوـاً وظلـماً وـهـنـاـ، لكنـ أـصـلـ الـكـلمـةـ هوـ يـعقوـبـ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
<كُلُّ لَطَّقَامَ كَانَ حَلَّ لَتَبَتِ إِسْرَاعِيلَ لَا مَا حَرَّمَ إِسْرَاعِيلُ عَلَى تَفْسِيْهِ> من قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ الْتَّوْرَةُ قُلْ فَأَنُوا بِالْتَّوْرَةِ فَإِنَّهَا إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِينَ (93)

(سورة آل عمران)

وهو يعقوب، فهم بنوه، وهذه ليست مدحـ لهم وليسـ ذمـاـ وإنـماـ هيـ تـوصـيفـ، مـدـيـنـاـ هيـ تـوصـيفـ، فـيـ العـصـورـ الـتيـ كـانـواـ فـيـ طـاعـةـ اللهـ وـفـقـ كـاتـبـمـ التـورـةـ مـدـحـواـ عـلـىـ ذـلـكـ، وـعـنـدـمـاـ تـخلـواـ عـنـ دـيـنـهـمـ وـعـاثـواـ فـيـ الـأـرـضـ فـسـادـاـ دـمـواـ عـلـىـ ذـلـكـ، وـفـصـلـهـمـ اللهـ تـعـالـىـ وـقـالـ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تُبَيِّنُ إِسْرَئِيلَ ذُكْرُوا بِعَمَقِيَّةٍ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَصَلَّيْتُ عَلَى الْعُلَمَاءِ (47)

(سورة البقرة)

لكن تفضيلهم لا يقتضي الأفضلية، فليس كل مفضل فهو الأفضل، فأنت قد يكون لك ولدان أحدهما متفوق جدًا فتركته لمدرسته يدرس وينجح ويأخذ أعلى العلامات في الثانوية، ولديك ولد آخر مقصى فتفصله بمجموعة من المدرسين الخصوصيين وتدفع له الآلاف المؤلفة، فهل هو أفضل عنك من الأول؟ لا، فأنت قد تفضل المقصى بشيء فلا يعني أنه الأفضل، والله تعالى فضلهم فأرسل إليهم الأنبياء، فما الذي كان منهم؟ قتلوا الأنبياء، فهل هم الأفضل بقتلهم الأنبياء؟! بعاد الله، لكن الله فضلهم فكانت التفضيل وبالاً عليهم، ونحن أمة محمد- صلى الله عليه وسلم - قد فضلنا الله تعالى ببنبي هو خاتم النبيين، وهو إمام النبيين، وهو أعظم النبيين، وهو صاحب ذكرى الإسراء والمعراج، وهو من هو، فإذا اتعناه فتحن الأفضل، وإن شاء الله-. وإذا قضينا وتركنا منهجه فتحن لسنا الأفضل، فالقضية لا علاقة لها بمدحه ولا بذمهم وإنما هي توصيف، فمن يتبع الهدى فهو مفضل عند الله وهو الأفضل، ومن لا يتبع فقد يكون مفضلاً ثم لم يفعله هذا التفضيل بشيء، فيكون خساًراً ومواً عليه، (وَقَصَّيْنَا إِلَى بَيْتِ إِسْرَئِيلَ فِي الْكِتَابِ) في كتابهم، في توراتهم، وهؤلاء بنو إسرائيل كان في كتبهم ما بين جلاء وبوضوح أنه سيأتي نبي في آخر الزمان، وأنه يجب عليكم أن تؤمنوا به.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ ءَاهَيْتُمُ الْكِتَابَ كَمَا بَعَرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ >Span/> وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ
الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (146)

(سورة البقرة)

كان أحدهم من يهود كان يقول: والله إنني لأعرف محمداً في كتابي أكثر مما أعرف ابني، أي أنا ابني في طن منه أن يكون ابني، لكن صفة محمد- صلى الله عليه وسلم - في كتابنا واضحة، وكانوا يقولون للعرب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَقَّا جَاءَهُمْ كِتْبٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدَّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَلْبٍ يَسْتَغْنُونَ عَلَى الَّذِينَ
كَفَرُوا>/Span> قَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ قَلَغَتِهِ اللَّهُ عَلَى الْكُفَّارِينَ (89)

(سورة البقرة)

سيأتي نبي في آخر الزمان وسنؤمن به وسنقل لكم قتل إرم وعاد للمشركيين، (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ قَلَغَتِهِ اللَّهُ عَلَى الْكُفَّارِينَ) أي ليس هناك أسوأ عند الله من يعرف الحق ويحرفه، قد يصل الإنسان عن الطريق فلا يعرفه، وهذا خطأ كبير لكن الأعظم منه من يجهل عنه، وهو ما فعله كثير من بنى إسرائيل، فقال تعالى: (وَقَصَّيْنَا إِلَى بَيْتِ إِسْرَئِيلَ فِي الْكِتَابِ لِتُغَيِّبُنَّ) هذه اللام حواب قسم، لأن الله تعالى يقول: (وقضينا إلى بنى إسرائيل والله لتفسدن في الأرض) قسم، أو أن القضاء نفسه يحمل معنى القسم فياء الحواب بمعنى القسم (لِتُغَيِّبُنَّ) مع التوكيد نون التوكيد الشديدة أي الإفساد واقع؛ هذا قضاء الله، (لِتُغَيِّبُنَّ) هذا قضاء الله لا يعني أنه رضيه، ولا يعني أنه يحبه، ولا يعني أنه يأمر به ولكنه قضاه جل جلاله- لحكمة عظيمة عرفها من عرفاها، وجهلها من جهلها.

(لِتُغَيِّبُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّيْنَ وَلَتُغْلِبَنَّ غُلَوْا كَبِيرًا) الإفساد أن تخرج الشيء عما خلق له، هو خلق للصلاح، ربنا -عَزَّ وَجَلَّ- خلق الماء صالحًا للشرب يحرّن في الأرض، له مخازن في الجبال ومخازن في الأرض ونشره عذباً زلاً، فإذا أقمنا معملاً صناعات بلاستيكية عند مصادر المياه ولوثنا المياه أفسدناها، المرأة ربنا-جل جلاله- خلقها لتكون أمًا وزوجة وأختًا وجدة في المستقبل، ولتكون مصانة وليكون لها الطهر والعفاف والخير والبركة، فإذا جعلناها إعلاناً لسلعة تجارية فقد أفسدناها، ربنا ما خلقها من أجل أن تعلن تجارياً وتليس نبأًا فاضحة لذلك لنشتري سلة فمامه، ربنا لم يخلفها من أجل ذلك، خلقها لتكون مكرمة معززة في بيتها لكتهم أفسدوها، فالإفساد أن تخرج الشيء عن أصله إلى ما يفسده، وهؤلاء بنو إسرائيل أفسدوا في الأرض (لِتُغَيِّبُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّيْنَ) أهلكوا الحمر والزرع والنسل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذَا تَوَلَّتِ سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُغَيِّسَ فِيهَا وَبُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُجُبُ لِفَسَادَ (205)

(سورة البقرة)

فأهلوا الحمر، وأهلكوا النسل، وأهلكوا الأولاد، وصربيوا المستشفيات، وما تركوا شيئاً إلا أفسدوه، المنحرف عن منهج الله فساد يفسد كله، والمتلزم بمنهج الله يصلح، فقال: (وَقَصَّيْنَا إِلَى بَيْتِ إِسْرَئِيلَ فِي الْكِتَابِ لِتُغَيِّبُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّيْنَ وَلَتُغْلِبَنَّ غُلَوْا كَبِيرًا).

تفسير العلماء لوقت إفسادِي بنى إسرائيل:

متى كانت هاتان المرتان؟ كثير من المفسرين ذهبوا إلى أن تلك المرتين قد انقضى عهدهما قبل الإسلام، وأن القرآن يتحدث عن شيءٍ تارخيٍ فقالوا:

1-الأول: عندما كان جالوت ثم قتل، ثم سلطه الله -وجالوت ليس مؤمناً- سلطه الله عليهم بعد أن تركوا التوراة، وهم التزموا بالتوراة فترة وكان عندهم التابوت الذي فيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون ثم انحرقوا عن منهج الله تعالى فسلط الله عليهم جالوت فجاس خلال الديار وقتلهم وأنهى وجودهم إلى أن عادوا إلى ربهم وبعث الله لهم طالوت، وداود قتل جالوت، قالوا: هذا الإفساد الأول.

2- وأما الإفساد الثاني: فكان بعد رح من الزمن بعد أن انتشروا في الشرق والغرب فجاء بختنصر وقضى عليهم، فقالوا: الإفسادان قد مضى وقتهم وربنا يتحدث عما مضى، وهذا ما عليه كثير من المفسرين، وبعض المفسرين قالوا: لا، الإفسادان هما في حضن الإسلام بعد الإسلام، ربنا يتحدث الآن عما هو كائن وسيكون وليس عما قد كان وانقضى، ولهم في ذلك أدلة:

أ- الدليل الأول: قالوا إن الله يتحدث عن وعد، والوعد يكون لما سيأتي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَئِمَا بَعْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولَى تَأْسِيٍ سَدِيدٌ فَجَاسُوا خَلْلَ الْدِيَارِ
(5)

(سورة الإسراء)

فيتحدث عن شيءٍ وعدنا به، وما مضى لا يسمى وعداً لأنَّه قد وقع وانتهى، فأنا لا أعدك بشيءٍ مضى وإنما أعدك بشيءٍ سيأتي.

ب- والأمر الثاني قالوا: إفسادهم قبل الإسلام لم يكن مرتين، أي قتلهم الأنبياء إفساد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَجَوْزَتَا بِتَبَتَّتِ إِسْرَاعِيلَ لِتُبْخِرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمًا يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَاتِلُوا يُمْوَسِّي جُعْلٌ
(138)

(سورة الأعراف)

عبدوا العجل، ما تركوا شيئاً إلا وأفسدوا به، فأين المرتان بالموضع؟ هي إفسادات متكررة وكلها كبيرة.

ج- والأمر الثالث قالوا: ربنا -جل جلاله- يقول: (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَئِمَا بَعْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا) فيمدح هؤلاء العباد، ولا يمدح بختنصر ولا جالوت وهما غير مؤمنين أصلاً، فهو يسميه الله عباداً لنا؟ لأن العباد في الأصل لا يطلق إلا على عبد الشّيء، وأما العبيد فهم عبد الّه، ربنا -جل جلاله- يوم خلقنا قهراً باشياء فنحن كلنا عبد له، أي أنت قطر شريانك التاجي أنت عبد لله به؛ لأنه إذا صاق جلطة والعياد بالله -نسال الله العافية- نحن مقهورون، أنت تحتاج شربة الماء فأنا وانت عبد، وأنت تحتاج لخرج شربة الماء فنحن عبد لله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ عَمِلَ ضِلَّاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَأَ فَعَلَيْهَا وَمَا رُبَكَ بِطَلَّمٍ لِّلْغَيْبِ(46)

(سورة فصلت)

لكن عباد الرحمن هم عباد الشّيء الذين لما كُلّفوا اختاروا، اختاروا طوحاً أن يطيعوا الله هؤلاء عباد وليسوا عباداً، نعم وردت بعض الآيات فيها عبادي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَيَوْمَ يَحْسُرُهُمْ وَمَا يَعْدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَيْقُولُ أَنْتُمْ أَصْلَلُمْ عِبَادِي هُوَ لَأَمْ هُمْ صَلُوْا لِسَيِّلَ
(17)

(سورة الفرقان)

قالوا: هذه في الآخرة؛ لأنه في الآخرة لم يعد هناك قهر وشكر كل مقهور، أما في الدنيا الغالب أن العباد للشקר والعيبد للقهري، فقلوا: قوله تعالى: **(يَعْنَتَا عَلَيْكُمْ عِنَادًا)** ثم ينسهم لنفسه **(النَّا)** يدل على أن من سيقضى على هذا الفساد ليس جالوت وليس بخنثى وإنما من سيقضى عليه هو عباد الله المؤودون المؤمنون، وهذه الأدلة قوية الحقيقة في بيها، ويستعرضها الشيخ الشعراوى -رحمه الله- في تفسير سورة الإسراء بشكل حيد هذا ملخصها، فقلوا، الإفساد، إفساد، سبابيان؛ **فَالْأُولُو هُوَ مَا حَصَلَ مِنْهُمْ مِنْ بَهُودٍ بَنِي** **قَبْنَقَاعٍ وَقَرْبَطَةٍ** لما أجلاهم النبي -صلى الله عليه وسلم- عن المدينة سالمهم وأبرم معهم صلحاً ومواثيق ثم إنهم كادتهم نقضوا المواثيق وخانوا المهدى فأجلاهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بنى النصیر وبني قبۃطة، ثلاثة أجلاهم النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقوله تعالى: **(إِذَا جَاءَ وَعْدُ أَوْلَهُمَا)** أي وعد الإفساد الأولى التي كانت منهم بنقض العهود **(يَعْنَتَا عَلَيْكُمْ عِنَادًا لَنَا أَوْلَى تَأْسِيَةٍ)** هم جيش النبي -صلى الله عليه وسلم-. **(فَجَاهُوْا جَهَنَّمَ الَّذِي أَرَى)** أي تتبعوكم في كل مكان، وهذا جرى بإجلائهم عن المدينة بشكل كامل **(فَجَاهُوْا جَهَنَّمَ الَّذِي أَرَى) وَكَانَ وَعْدُمَفُولًا** هذا الوعد الأول.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
<ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمْ لَكَرَّةً عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَجْهَنَّمَ أَكْثَرَ تَفِيرًا> (6)

(سورة الإسراء)

(ثم) للترتيب على التراخي، أي امتد زماناً من عهد النبوة إلى أن جاء الـ67، فكان من جديد أن علوا هذا العلو الذي سماه الكبير- جل جلاله- **(غَلُوْا كَبِيرًا)** تخيل الكبير يسمى العلو كبيراً فما عساه أن يكون؟! قال: **(ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمْ لَكَرَّةً)** من الكر والفر، أي الغلبة من جديد؛ وهذا قانون رباني.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
<إِنْ يَمْسِسْكُمْ قُرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قُرْحٌ تِلْكُهُ وَتِلْكَهُ لَآيَامٍ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ لَلَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءامَنُوا وَسَيَجِدُ مِنْكُمْ شُهَدَاءً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الطَّالِمِينَ> (140)

(سورة آل عمران)

والمحاولة لا تكون بين مؤمن ومؤمن، أو بين كافر وكافر، وإنما تكون بين مؤمن وكافر، المداولة أي تتنقل قيادة الأرض وقوتها من يد الكافرين، وهذا لا يكون إلا بتقصير المؤمنين واقرروا التاريخ، المسلمين لما كان يضعف حالهم وتنتهي قيادتهم؛ الأندلس، الخلافة العثمانية، الدولة الأموية، أقراراً التاريخ، كلنا عندما كنا متسلكين بدیننا حفاظاً هذه سنة الله في المسلمين، ليس في كل الناس، سنة الله في المسلمين أن الإنسان المسلم عندما يحيى عن دينه يخرج عن خلافة الأرض، وهذا القانون العمري قال عمر -رضي الله عنه-: "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة بغيره **أذلنا الله**" القانون العمري، فهمها سيدنا عمر المعادلة، هم بماذا أعزهم الله؟ ربما أعزهم الله بأموالهم وأولادهم وقوفهم والأمم المتحدة ومجالس الأمم لهم قانون آخر، لكن نحن المسلمين ربنا عز وجل -أراد أن تكون العلاقة معه مبنية على طاعته، فمتي نصرناه نصرنا، ومتى -والعياد بالله - خذلناه خذلنا، فقال: **(إِذَا جَاءَ وَعْدُ أَوْلَهُمَا)**، ثم يقول: **(ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمْ لَكَرَّةً عَلَيْهِمْ)** انظر إلى الوصف القرآني الذي يناسب الواقع اليوم **(وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ)** كم الأموال اليوم التي تُدفع من 120 يوم فقط في هذه الحرب؟ مليارات، وقال: **(وَأَفَدَدْنَاكُمْ)** أي ليست ذاتية وإنما هناك من يمددهم بإرادة الله ليس برضاه حاشاه - ولا بأمره لكن يسمح بذلك - جل جلاله، **(وَأَفَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ)** هم الآن يعلمون الأجيال، ويعلمون الأولاد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
<لَمَالٌ وَلَبْنَوْنَ زَيْنَةٌ لِحَيَّةٌ الَّذِي أَرَى> (46)

(سورة الكهف)

الدنيا كلها مال وبنون **(وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَجْهَنَّمَ أَكْثَرَ تَفِيرًا)**، **(تَفِيرًا)** أنت تستنفر شخصاً فينفر معك، الآن استنفروا الأرض كلها لهذه الحرب، لهم نفير غير طبيعي ينفرون معهم؛ أي ما أكثر من ينفر معهم من المرتزقة ومن مجالس الحقوق...، ما أحد يستطيع أن يوقفهم عند حدتهم **(وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ تَفِيرًا)**.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
<إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ قَلْهَا> (7)

وهم قد أساوا لکن ربنا جل جلاله - دائمًا يفتح باب الخير ثم الشر أباك مخبي؛ لك ذلك ولک ذلك، ما حرمتك الاختيار، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَإِنْ كَذَّبُوكَ قَفْلَ رَتْكُمْ دُوْرَحْمَةٍ ۝ وَلَا يُرَدْ بَأْسُهُ ۝ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (147)

(سورة الأنعام)

يکذبون رسول الله، ويقول له: **(فَإِنْ كَذَّبُوكَ قَفْلَ رَتْكُمْ دُوْرَحْمَةٍ ۝ وَسَعَةٍ)** فالله لا يغلق بابه - جل جلاله -. قال: **(إِنْ أَخْسِنُتُمْ أَخْسِنَتْمُ لَأَنْفُسِكُمْ ۝ وَإِنْ أَسَأْنُتُمْ فَأَهَا ۝ فَإِذَا حَآءَ وَعْدُ الْأَجْرَةِ)** وهذه الآخرة ليس بعدها وعد، الآخرة أي الإفساد الآخرة وليس هي يوم القيمة (الإفسادة الثانية) وعد الآخرة، هما مرتان هذه الثانية، قال: **(إِنْسٌ ۝ وَجُوْهَرٌ ۝)** الخطاب لبني إسرائيل، **(إِنْسٌ ۝ وَجُوْهَرٌ ۝)** أي ليجعلوا الذل والهوان والصغار يبدو على وجوهكم وهذا أعظم أنواع الذل، متى ينتقل ذل الإنسان إلى وجهه؟ عندما يكون في أعمق وأعظم أنواع الذل فيظهر السين على وجهه، ترى قسمات وجهه توحى بذلك وصغاره وهواني، **(وَلِيَنْدُخُلُوا الْمَسِيْدَ)** الأقصى الذي بدأ به الآية **(إِلَى الْمَسِيْدِ ۝ لِأَقْصَانِهِ)**، **(كَمَا دَخَلُوا أَوْلَ مَرَّةٍ)** في عهد عمر -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- يوم لم يكن منبني إسرائيل كان من الرومان يوقتها، لكن هنا الإساءة هنا الثانية لبني إسرائيل **(إِنْسٌ ۝ وَجُوْهَرٌ ۝)** و**(وَلِيَنْدُخُلُوا الْمَسِيْدَ كَمَا دَخَلُوا أَوْلَ مَرَّةٍ)** كما فتحها عمر، وكما حررها صلاح الدين، **(وَلِيَنْتَرُوا مَا عَلَوْا تَسْبِيرًا)** لما علوا **(مَا عَلَوْا تَسْبِيرًا)** لم يقل: (ما علوم أنتم) فهم علوا لأنهم لا ينصرؤن إلا بحيل من الله وحبل من الناس.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
صُرِّيْتُ عَلَيْهِمُ الَّلَّهُ أَنِّي مَا تَقْفُوا إِلَّا يَخْلُلُ مَنْ الَّلَّهُ وَخَبِيلٌ مَنْ النَّاسُ وَتَأْوِيْ
بِعَصِّيْ مَنْ الَّلَّهُ وَصُرِّيْتُ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ۝ ذَلِكَ إِنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ ۝ يَأْتِيْتُ اللَّهُ وَتَشْلُوْنَ ۝ لَأَنَّهُمْ يَتَأَبَّأُّهُ ۝ يَغْيِرُ حَقًّ ۝ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا ۝ وَكَانُوا بَعْنَدُوْنَ (112)

(سورة آل عمران)

فهم بنوا وأشادوا وعثروا لكن لا في أرضهم ولا بمالهم وإنما يمن أغدق عليهم وأمددهم، **(وَلِيَنْتَرُوا مَا عَلَوْا تَسْبِيرًا)** أي وليدمروا وبهلكوا، كل ما صنعتموه في تلك الأرض التي ليست بأرضكم وليس لكم بحال، **(وَلِيَنْتَرُوا مَا عَلَوْا تَسْبِيرًا)** التسبيح هو الهلاك والتدمير **(وَلِيَنْتَرُوا مَا عَلَوْا تَسْبِيرًا)**.
فأحبينا الكرام هذه الصفحة الأولى من سورة الإسراء تلقى الصورة في بدايتها على رحلة الإسراء، المراجعة ستحدث عنه إن شاء الله - في اللقاء القادم، هذه السورة تتحدث عن رحلة الإسراء وترتبطها ربطاً متعلقاً بواقعنا اليوم، وقد بنت لكم الرأيين: الرأي الذي يقول أن الإفسادتين قد مرتا، والرأي الذي يقول أن الإفسادتين كانتا في حضن الإسلام، انتهت واحدة ونحن الآن في الثانية، ووعد الله هو القضاء على الثالثة، وهذا أمر له مؤيدوه الكثير والحقيقة أن حظه من النظر قوي جداً لما بيسنا من الأدلة الموجودة بأن الله يتحدث عن وعد قادم، وأن الإفسادتين واحدة قد تمت في صدر الإسلام، والثانية ما يجري الآن في آخر الزمان، ووعد الله تعالى حق والله تعالى حقيقة وعد الله تعالى بدخول المسلمين المسجد كما دخلوه عهد عمر - رضي الله عنه، والحمد لله رب العالمين.